مجلة أبعاد مجلد 12، العدد 01 (خ)، 2025
ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

سؤال الحرية الفكرية في فكر طيب تيزيني

The question of intellectual freedom in the thought of Tayyeb Tizini

مخطار ديدوش محمد Mokhtar Didouche Mohammed*
فلسفة المعهد الوطني للبحث في التربية – (الجزائر)
mohamed.mokhtar.didouche@inre.dz

****

تاريخ الإرسال:2024-02-06	تاريخ القبول: 2025-05-07	تاريخ النشر: 2025-05-17

ملخص:

تأتي هذه الورقة البحثية لمعالجة سؤال الحرية الفكرية في العالم العربي المعاصر من وجهة نظر المفكر السوري طيب تيزيني، الذي تناولها في إطار تجديد الفكر العربي الإسلامي، وذلك من خلال سعيه لتأسيس فلسفة عربية معاصرة، مبنية على اعتبار الحرية أحد القضايا والشروط الحاسمة في تحقيق ذلك الهدف.

هذا، ويقصد طيب تيزيني بالحرية الفكرية بأنها حرية الإنتاج الفلسفي المبدع، وكل إنتاج ثقافي وأدبي وفني، وجمالي وغيره، بعيدا عن الإكراهات المتحدرة من الأطر السياسية والمجتمعية، بما فيها المؤسسات والأحزاب ذات الرؤية الظلامية المنطلقة من المصادرة على مفهوم التعددية في كل الحقول. فهو ينادي بالحرية الفكرية المطلقة بعيدا عن القيود الدينية والسياسية والاجتماعية التي من شأنها أن تعيق التفكير الحر وتحد من مساحته.

من بين النتائج المتوصل إليها أن هناك تضييق كبير على الحرية الفكرية داخل المجتمعات العربية المعاصرة، بحيث يظهر ذلك في ما يعانيه الكتاب والمثقفين من ملاحقة واعتقالات وسجن وتهجير، وأن مسألة تحققها وتعميمها بالشكل المطلوب مازال مطلبا بعيد المنال والتحقق على أرض الواقع.

الكلمات المفتاحية: حرية؛ فكر؛ قيود؛ حدود.

Abstract:

This research paper addresses the question of intellectual freedom in the contemporary Arab world from the perspective of the Syrian thinker Tayeb Tizini, who explored it within the framework of renewing Arab-Islamic thought. Tizini pursued this through his endeavor to establish a contemporary Arab philosophy, grounded in the recognition of freedomFlorence as a pivotal issue and condition for achieving this goal.

* المؤلف المُرسل: didouche.mohamed@yahoo.com

By intellectual freedom, Tizini refers to the liberty of creative philosophical production, as well as all cultural, literary, artistic, aesthetic, and other forms of production, free from the constraints imposed by political and societal frameworks. These include institutions and parties with obscurantist visions that suppress the concept of pluralism across all domains. He advocates for absolute intellectual freedom, unencumbered by religious, political, or social restrictions that could hinder free thinking and limit its scope.

Among the findings is that there is significant restriction on intellectual freedom within contemporary Arab societies, manifested in the persecution, arrests, imprisonment, and displacement faced by writers and intellectuals. The realization and widespread implementation of intellectual freedom in the desired manner remain elusive and far from being achieved in reality.

Keywords: freedom; thought; constraints; boundaries.

1. مقدمة

يعدّ سؤال الحرية الفكرية من أبرز الإشكاليات والقضايا التي اشتغل عليها الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر. فقد عرف هذا الموضوع إنتاجا فكريا كبيرا ونقاشا فلسفيا ثريا بين مختلف المفكرين العرب، وهذا منذ عصر النهضة مع الرواد الأوائل من أمثال الطهطاوي وخير الدين التونسي ومحمد عبده، وصولا إلى الفترة المعاصرة مع أصحاب المشاريع الفكرية النظرية مثل الجابري وأركون وعبد الله العروي. ذلك من منطلق أن معالجة مفهوم الحرية يدخل في صميم قضايا التقدم والتنمية وعلاقة العرب مع الغرب والحداثة والتنوير في المجتمعات العربية المعاصرة.

لقد تأثر رواد النهضة العربية بفكرة الحرية المستقاة من الفكر الغربي، والتي ارتبطت في فكرهم بمفهومي العدل والمساواة في مقابل القضاء على الظلم والتعسف والاستبداد. فهذا رفاعة الطهطاوي في ترجمته للدستور الفرنسي في مادته الأولى التي تنص أن سائر الفرنسيين مستوون أمام الشريعة، يقر أن ما يقابل هذا المفهوم هو نفس ما يطلق عليه في ثقافتنا العربية والإسلامية العدل والإنصاف، والتي بموجبها تتحقق السعادة والرفاهية في حياة الفرد والمجتمع. أما خير الدين التونسي فقد رأى أن طريق التقدم والرقي مرهون باستلهام التنظيمات السياسية والاجتماعية الغربية القائمة على أساس العدل والحرية. فاتساع دائرة المعارف وسعة نطاق التمدن في الدول الأوروبية يرجع إلى اتساع مجال الحرية، فالحرية تجلب الرخاء والتقدم وتساعد في استثمار الأموال وتعلم

الحرف والصنائع، وعند فقدانها تنعدم الراحة والأمان. كما نجد محمد عبده يحارب الجمود الديني والفكري الذي أصاب الأمة العربية والإسلامية من خلال دعوته إلى تحرير العقل من براثن التقليد وفتح المجال أمام الإبداع والتفكير الحر. هذا وعرفت قضية الحرية الفكرية أوجها مع التيار الليبرالي العربي الذي اتخذ منها شعاره الرئيسي باعتبارها المبدأ والمنتهى. فهذا لطفي السيد يرى أن الحرية ليست فكرا نستورده من الغرب بقدر ما هي حاجة نحسها وأساس وجودنا، فما حريتنا إلا وجودنا، وما وجودنا إلا الحرية. فالحرية غذاء العقل والروح وقيمتها تعادل قيمة الماء والخبز في حياتنا.

أدرك الباحثون والمفكرون في الفكر العربي المعاصر المكانة المحورية والدور الرئيسي الذي تلعبه الحرية الفكرية في عملية البناء الحضاري، في مقابل وعيهم بغيابها وأزمتها داخل المجتمع. وهذا ما دفعهم إلى البحث في أصولها ونظرياتها وامكانياتها وتحدياتها. فهذا عبد الله العروي قد خصص كتابا كاملا بعنوان "مفهوم الحرية" لمناقشة هذا المفهوم الذي عرضه باعتباره مفهوم تاريخي وسياسي وثقافي. فالحرية كلمة شائعة وكثيرة الاستعمال لدى العرب إلا أن مفهومها غامض وملتبس وغير مجسد في سلوك الأفراد. فالمجتمعات العربية حسبه لم ترق بعد ولم تصل لمصاف المجتمعات المتحررة في عالمنا المعاصر، وبالتالي فالطريق طويل وشاق ولابد من بذل المزيد من الجهد والعمل لتحقيق هذا الهدف. أما زكي نجيب محمود فيرى أن الحرية في العالم العربي ارتبطت بالحرية السياسية فقط، وفي هذا إهمال للأشكال الأخرى من الحرية، فما ينقص حياتنا الثقافية اليوم هو الحرية الفكرية في العلوم والآداب والفنون. كما أن أكبر عائق يواجه الحرية الفكرية هو الرأي العام، فالاستبداد الاجتماعي أشد خطرا من الاستبداد السياسي. بينما يرى سلامة موسى أن أساس الحرية الفكرية عدم الارتباط بمذهب فكري أو سياسي معين أو بتقاليد اجتماعية معينة، لأنها تحد وتقيد التفكير في كل ما يخالف أفكار وأهداف ذلك المذهب. أما محمد عابد الجابري فيرى أن تحقق حرية التفكير في المجتمعات العربية مقترن بطريق الديمقراطية الصحيحة.

إضافة إلى هذه التحليلات حول الحرية الفكرية نجد مفكرا وقامة فكرية أخرى قدمت تحليلات شافية حول واقع الحرية الفكرية في المجتمعات العربية وآفاقها. إنه المفكر السوري طيب تيزيني الذي قدم من خلال إنتاجه الفكري تأصيلا لمفهوم الحرية الفكرية ونظرياتها وواقعها وتحدياتها انطلاقا من خلفية ماركسية ثورية. وهذا ما

سنحاول مناقشته وإثرائه في هذا المقال من خلال الإجابة على الأسئلة التالية: كيف عالج تيزيني مفهوم الحرية الفكرية؟ ما دور الحرية الفكرية في عملية التأسيس لفلسفة عربية معاصرة؟ ما هي القيود التي يراها تيزيني عائقا أما تحقق الحرية الفكرية؟

2. مفهوم الحرية الفكرية:

الحرية الفكرية هي "حق الإنسان في أن يفكر تفكيرا مستقلا في جميع ما يكتنفه، وأن يأخذ ما يهديه إليه رأيه، وأن يعبر بأي طريق."(فراس، ي، 2009، 135) بمعنى حق الفرد في إبداء رأيه الشخصي ووجهات النظر حول مواضيع الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، بعيدا عن التضييق والتعسف والاستبداد.

وفي مفهوم آخر لها "تدل حرية التفكير على أن العقل لا يخضع إلى أي قانون آخر إلا ذلك الذي يضعه لنفسه. ونقيض الحرية هو مبدأ استخدامها بدون الاحتكام إلى قانون العقل، وذلك بغية النظر بعيدا مع البقاء في حدود قوانينه."(الهلالي، م. ولزرق، ع، 2009، 32) فبدون تقييد الحرية بقوانين العقل تتحول إلى عبث .

تعتبر الحرية الفكرية "فعالية ذهنية تستشرف المستقبل وتمهد للفعل. فما من نهضة علمية أو ثقافية أو اجتماعية إلا وسبقتها نهضة فكرية. طريقة للوصول إلى الحقيقة المطلقة، حيث أن المجتمع من خلال نقاش وتحدي الحقائق المحتملة الناتجة عن التعبير غير المقيد للأفكار والمعلومات يستطيع أن يحدد الحقيقة المطلقة."(حبيب، ن، 2016) فقيمتها تكمن في أنها تحرر الفرد والمجتمع من الأوهام والخرافات والبدع والوقوع في أسر التقليد الأعمى.

من شروط وضوابط الحرية الفكرية أن لا يدعو صاحب الفكر أو الرأي إلى استخدام العنف ونشر الكراهية والفتنة داخل المجتمع، وأيضا أن يكون موضوعيا في طرحه بأن يلتزم الحياد في الطرح والصدق والأمانة في مصدر المعلومة.

3. الحرية الفكرية شرط تأسيس فلسفة عربية معاصرة:

لقد خص تيزيني مسألة الحرية بالكائن البشري دون غيره من الموجودات. ومع ذلك فتاريخ البشرية ليس تاريخ الحرية بقدر ما كانت الحرية تمثل لحظات متقطعة منه، برزت في مراحل وغابت في مراحل أخرى حسب طبيعة المجتمع وظروفه السياسية وسياقاته الاجتماعية والثقافية. وعليه فتبلور تصور الحرية كما هو عليه اليوم كان نتيجة تكاثف وتفاعل عدة عمليات ذهنية شكلت سياقا أوليا وعاما لنشوئها، تبدأ "من

وعي التماثل والهوية إلى وعي التمايز والتناقض، ومن الوعي الإرادوي إلى وعي الضرورة، ومن أروحة الطبيعة إلى قانونيتها الداخلية الموضوعية، ومن المذيت (نسبة إلى الذات) إلى الموضوع الموضوعي، ومن المحيط المباشر إلى العالم (الكون)، ومن تضايفية العلاقة بين مادة _ وعي إلى أسبقية المادية على الوعي، وأخيرا من الذات المطلقة إلى الذات المموضعة عبر علاقة تضايفية بينها وبين الموضوع."(صالح، ن، 2008، 296) إن جميع هذه العمليات التي شكلت سياقا عاما لمفهوم الحرية قد اكتسبت معانيها ومضامينها من التحولات والتغيرات التي عرفتها قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج عبر المراحل الخمس لتطور المجتمعات البشرية.

لقد تناول تيزيني مسألة الحرية الفكرية في إطار تجديد الفكر العربي الاسلامي، وذلك من خلال سعيه لتأسيس وإنتاج فلسفة عربية معاصرة متميزة تستجيب لاحتياجات النهوض والتنوير في العالم العربي اليوم. وذلك باعتبار الحرية أحد القضايا والشروط الحاسمة في تحقيق ذلك الهدف، إضافة إلى مسائل من قبيل مسألة الذاتية وقضية الديمقراطية ومسألة الحقيقة ومسألة النهضة والتنوير العربي. فطيب تيزيني يؤمن بفكرة النهوض الحضاري بعد السقوط، فوجود تجارب نهضوية أو انحطاطية سابقة في أمة ما يمثل مصوغ واعتراف لإمكانية وجود نهضة جديدة مرة أخرى. لذا نجده يعمل في مشروعه "مشروع النهضة والتنوير" على إعادة نهوض الأمة العربية من كبوتها وصحوتها من غفلتها، وذلك لعدة اعتبارات تاريخية وسياسية واقتصادية وثقافية.

قبل التطرق لمسألة الحرية نمر في عجالة على المسائل الأخرى لتوضيحها باعتبارها متداخلة ومتفاعلة مع مسألة الحرية الفكرية. بحيث تمثل مسألة الذاتية "احتراما مفتوحا وغير مشروط لمن ينتج الفلسفة، الفيلسوف، بحيث لا يغدو واردا، بأي اعتبار، انتهاك حريته، التي تتماهى هنا بذاتيته."(تيزيني، ط، 2001، 206) لذا فعلى المفكر العربي أن يدرك ذاته كذات فاعلة من خلال أداء الدور المنوط بها في سبيل صياغة فلسفة وأفكار جديدة.

أما مسألة الديمقراطية، فباعتبار أن الديمقراطية بمبادئها وأسسها تعمل على ضمان التعددية الفكرية الثقافية داخل المجتمع فإنها بالتالي تمثل "مدخلا إلى الفلسفة وناتجا متجددا عنها، وداعيا لإعادة إنتاجها."(تيزيني، ط. والمرزوقي، أ، 2001، 207) من جديد. وبخصوص مسألة الحقيقة، تكمن أهمية هذه المسألة في الفكر العربي المعاصر

في أن كل مذهب إيديولوجي أو تيار فكري أو ديني يدعي حيازة الحقيقة لنفسه دون غيره.(تيزيني، ط. والمرزوقي، أ، 2001، 207) وهذا ما يضمن له الشرعية لأفكاره والسيطرة على الحاضر بتوظيفها ثقافيا واجتماعيا وسياسيا لما يخدم مصالحه. إضافة إلى ذلك يمكن استعمال الحقيقة لتحقيق تعددية سياسية وايديولوجية، وأيضا في إعادة بناء الثقافة العربية على أساس الروح العلمية ومبادئ كالموضوعية والنقد والتحليل.

كما يضيف تيزيني مسألة النهضة والتنوير العربي بحيث ينظر إليها باعتبارها الحامل النظري والسوسيوسياسي للمشروع الفلسفي العربي المعاصر. الذي تحمله على عاتقها ما يطلق عليه بالكتلة النهضوية أو النخب السياسية والثقافية من مفكرين وسياسيين. بمعنى مروحة تنطلق من أقصى اليمين القومي الديمقراطي إلى أقصى اليسار الوطني، فمشروع النهضة والتنوير هو مشروع أمة كاملة وليس طبقة معينة.

أما إذا عدنا لمسألة الحرية الفكرية فيقصد بها طيب تيزيني "حرية الإنتاج الفلسفي المبدع، وكل إنتاج ثقافي وأدبي وفني، وجمالي وغيره، بعيدا عن الإكراهات المتحدرة من الأطر السياسية والمجتمعية، بما فيها المؤسسات والأحزاب ذات الرؤية الظلامية المنطلقة من المصادرة على مفهوم التعددية في كل الحقول."(تيزيني، ط. والمرزوقي، أ، 2001، 205) لذا فالحرية الإبداعية في المجتمع يجب أن لا تكون بالضرورة مرتبطة بحقل فكري معين وغائبة عن باقي الحقول المعرفية، وإلا ستصبح هذه الحرية إما مجرد "لحظة في استراتيجية سلطوية قائمة على المراوغة والتضليل، والتسلط غير المباشر."(تيزيني والمرزوقي، 2001، 205) الهدف منها تحقيق مصالح وغايات معينة. أو مجرد "حالة فردية تفتقد مقومات الاستمرار والتراكم التاريخي الفاعل."(تيزيني، ط. والمرزوقي، أ، 2001، 205) وكلا الحالتين تعبران عن واقع الحرية الفكرية في المجتمعات العربية اليوم.

دائما باعتبار الحرية الفكرية شرط من شروط الإنتاج الفكري والفلسفي فإنها تعني "الإقرار غير المشروط بحالتين اثنتين؛ تتمثل الأولى منهما بإمكانية انجاز التفكير (الفلسفي) على نحو مفتوح في السطح كما في العمق، بحيث لا تواجه هذه الإمكانية بإحدى صيغ القهر والعسف، أي بحيث لا تواجه العملية الفكرية ما يعيقها من خارجها، على سبيل الإملاء القسري. أما الحالة الثانية فتقوم على التمكين للتفكير المعني في التدفق والتوغل بعمق وعبر آليات بنيته الذاتية الداخلية؛ فينشئ ذاته بفعل هذه

الآليات الداخلية، وذلك بالتساوق مع المحفزات والمؤثرات المتحدرة من شبكة العلاقات الاجتماعية، لكن دون أن يكون لذلك طابع الميكانيكية والافتعال والتعمل."(تيزيني، ط. والمرزوقي، أ، 2001، 182) بهذين الشرطين يمكن أن نصف ما تحقق من إنتاج فكري وفلسفي في جو من الحرية الفكرية بالإبداع والجديد.

4. دور المثقف العربي في تعزيز الحرية الفكرية:

نقصد بالمثقف العربي هنا تلك "النخبة المفكّرة التي نجحت في صياغة مشاريع فكرية رهانها ترقية الإنسان العربي في مدارج الترقّي والتمدّن وتخليص الأمة العربية من مفاسد التخلّف والتيه الحضاري."(الغابري، ع، 2021)

في المقابل يعرف تيزيني المثقف بأنه ذلك "المفكر الفعّال والفاعل مفكرا، ومن ثم فهو يمتلك الفعل في سياق إنتاج المعرفة، كما يمتلك المعرفة في سياق الفعل وإلا سوف نجد أنفسنا أمام ثنائية ميتافيزيقية تلهي المثقف وتنهيه إذا اقتصرنا في النظر إليه على كونه منتجا للمعرفة وخارج الفعل."(سعيد، م، 2005) فالمثقف يجب أن يمتاز بالربط بين المعرفة والفعل حتى تكون لديه القدرة على إحداث التغيير المنشود. لهذا نجد تيزيني يضع على عاتقه مسؤولية كبيرة في عملية النهوض باعتباره صاحب الفعل النقدي التنويري. "فكلّما كانت النخبة ناضجة فكريا، واعية بمستجدّات اللحظة التاريخية وشروطها نجحت في صياغة خطاب عقلاني متماسك واجتناب مأزق المفارقات مثل القصور المعرفي والفجوة بين القول والفعل والنظر والعمل والواجب والحاصل والظاهر والباطن."(الغابري، ع، 2021)

يرى تيزيني أن المثقف العربي قد تقلص دوره ونقصت قيمته في المجتمع، وأصبح عاجزا عن القيام بدوره كما يجب خصوصا في اللحظات الحاسمة التي تتطلب حضوره وتدخله. وذلك راجع إلى "وجود قطيعة شبه دائمة بين المثقف والنظام السياسي ... خصوصا بعد أن تحولت الجيوش العربية إلى فواعل داخلية مدينية، بحيث إنها تركت مواقعها العسكرية وواجباتها في حفظ البلد والدفاع عن وجوده، وحماية حدوده من أي اعتداءات خارجية، طبعا وقد أخفقت في مجالاتها الجديدة كلها."(صالح، ن، 2008، 158) فظهور ما يعرف بالدولة الأمنية القائمة قد أقصى المثقف عن دائرة الفعل، وجعله لعبة في أيدي النظام السياسي. كما أنها قامت بإسقاط الطبقة الوسطى (طبقة

المثقفين) في السلم الاجتماعي التي كانت تعتبر المنبر المعبر عن الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي المعاش.

في كتابه "استكشاف أسئلة الفكر العربي الراهنة" يرى تيزيني أن تراجع دور المثقف العربي في عملية التغيير راجع "كمحصلة لعجز قسري أصابه بسبب غياب ثلاثة عناصر أساسية تتحكم بحضوره، هي: الحرية، والكرامة، والكفاية المادية."(صويلح، خ، 2011) إذ يؤدي فقدان هذه العناصر إلى تقلص الفعل الثقافي وإضعاف قدرة المثقف على المساهمة في التغيير الاجتماعي. ومن هذا المنطلق، يؤكد تيزيني أن استعادة المثقف لدوره لا يمكن أن تتحقق إلا عبر إعادة الاعتبار لهذه العناصر الأساسية، وذلك من خلال تحقيق الاستقلالية الفكرية، وضمان كرامة المثقف ماديًا وأدبيًا، وتوفير فضاءات حرة للإبداع والنقد. كما يشدد على ضرورة تأسيس منابر ثقافية جديدة تُمكِّن المثقف من أداء وظيفته التنويرية في إطار دينامية معرفية تسهم في تطوير المجتمع وإعادة تشكيل وعيه التاريخي.(صويلح، خ، 2011)

بناءً على ما سبق يدعو تيزيني المثقف العربي إلى تغيير وتحسين وضعيته باعتباره ليس مجرد ناقد للسلطة وللوضع الاجتماعي فقط، وإنما باعتباره فاعلا في المجتمع يساهم في تعزيز الحرية الفكرية والتغيير الاجتماعي. من خلال القيام بما يلي:

- نشر الفكر النقدي والتنويري.
- التحرر من تبعية النظام السياسي والاستقلال عن سلطته.
- المشاركة في انتاج المعرفة وتوظيفها على أرض الواقع.
- المشاركة في الفعل السياسي والاجتماعي.
- امتلاك القدرة على النقد الذاتي والموضوعي.

5. معوقات وقيود الحرية الفكرية

ينادي طيب تيزيني بالحرية الفكرية المطلقة بعيدا عن القيود الدينية والسياسية والاجتماعية التي من شأنها أن تعيق التفكير الحر وتحد من مساحته. فباعتبار الفلسفة تفكير إبداعي حر يجب تحريرها من القيود الدينية. فمسألة العلاقة بين الفلسفة والدين من أكبر القضايا والاشكاليات التي اشتغل عليها الفكر العربي الإسلامي منذ نشأته إلى اليوم. وقد نظر إليها تيزيني من زاويتين: زاوية التمايز والتفريق بينهما (التمايز الابستيمولوجي)، وزاوية التمايز على صعيد المنهج (التمايز المنهجي). فمن حيث النظر إليها

من الزاوية الأولى فمعناه أن الفلسفة تبقى فلسفة والدين يبقى دين، وأن لكل منهما مجاله الخاص. إلا أن هذا التفريق لا يفضي بالضرورة إلى الصراع والاختلاف بينهما، بقدر ما يؤدي إلى فسح مجال الحرية والحوار والتنافس بينهما. يقول تيزيني:« أن لكل منهما طريقا ينبغي احترامه من كليهما معا؛ ... بصيغة محددة تقوم على ألا يتدخل الواحد منهما في آليات الآخر ومساره، والنتائج التي تنجم عن نشاطه البحثي أو التأملي.»(تيزيني، ط. والمرزوقي، أ، 2001، 212) أما من الزاوية الثانية فالقصد به كشف التمايز في منهج البحث في الوجود والمعرفة والقيم من حيث الآليات والمفاهيم والمراحل والنتائج.(تيزيني، ط. والمرزوقي، أ، 2001، 211، 212) وفي الأخير يصل إلى نتيجة فحواها أن ضرورة الاحترام المتبادل والتسامح والحوار بين الفلسفة والدين هو طريق قيام فلسفة عربية معاصرة ونهضة فكرية تستجيب لمتطلبات الواقع والراهن العربي المعاصر.

بخصوص القيود الاجتماعية، فالمجتمع له قواعد وضوابط تحكم سلوك أفراده من أعراف وعادات وتقاليد. كما نجده يتحكم أيضا في طرق ووسائل ومضامين العملية التربوية والتعليمية لتأكيد أعرافه وضمان استمرارها مع أجياله المتلاحقة. وبالتالي أي عملية لنشر أفكار وتوجهات لا تتماشى ونظمه وقوانينه السائدة تلقى معارضة شديدة من قبله لأنه يرى أنه من شأنها أن تحرر الوعي الذي قد تحدث ثورة وتغيير جذري داخل المجتمع.

في المجال السياسي نجد ما يصفه تيزيني بسيطرة الدولة الأمنية على الجميع، ويقصد بها تلك الدولة التي "تهيمن على المؤسسات كلها وعلى الزرع والضرع، بحيث يتعين على ما يجري في المجتمع أن يمر عبر أقنيتها اقتصادا وسياسة وتعليما وقضاء وإعلاما ورياضة وفنا. وفي سبيل ذلك، تمارس هذه الدولة أكثر الوسائل قمعا بحق من لا يخضع لها."(تيزيني، ط، 2005، 50) فمهمتها إفساد من لم يفسد بعد، وهذا حتى يصبح الجميع مدانين وتحت الطلب، وبالتالي يسهل إخضاعهم لتوجهاتها. وأكثر فئة تواجه الظلم والتعسف من قبلها هي فئة الكتاب والمثقفين ذوي الأقلام الحرة التي لا تتماشى كتاباتهم وأفكارهم مع توجهات وسياسات هذه الدولة الأمنية. لذا نجدها تعمل على التضييق على حرياتهم والحد من نشر أعمالهم. ليجد الكاتب والمفكر والمثقف نفسه في الأخير أمام حتميتين: إما الخضوع والتماشي مع تيارها والاستفادة من مزاياها أو المعاندة والمقاومة

لتأكيد قناعاتهم وأفكارهم والتي تنتهي عادة بالتشهير والتكفير والاعتقال والتهجير، وهذا هو حال وواقع الكثير منهم.

للتخلص من هذه القيود تشترط الحرية الفكرية ضرورة توفر التعددية الإيديولوجية والثقافية ضمن مؤسسات الدولة والمجتمع المدني. فوجودها "ينتج حالات من الحوار العقلي النقدي والندي، وذي الطابع الشمولي، بقدر أو بآخر، حول مسائل الوجود والمعرفة والقيم وغيرها."(تيزيني، ط. والمرزوقي، أ، 2001، 180) فإذا غابت التعددية حضرت الواحدية التي تنتج الاستبداد والاقصاء. فالأنظمة السياسية العربية وإن كانت تدعي الديمقراطية واحترام التعددية والعقلانية على المستوى النظري، فإنها على المستوى العملي تعاني غياب التعددية الثقافية والسياسية، وتكرس ثقافة البعد الواحد كما ترفض النقد والتشكيك في مصداقيتها. وهذا ما يمنع بروز إنتاج فكري عربي مستقل يتسم بالعقلانية والنقدية والتنوير.

خاتمة:

في الختام نجد أن مفهوم الحرية الفكرية يتداخل ويتفاعل مع العديد من الإشكاليات الأخرى مثل الديمقراطية والشورى والمواطنة والاستبداد ... فلا يمكن مثلا تقصي فهم عميق وشامل حول فكرة الديمقراطية أو مفهوم الاستبداد في العالم العربي ما لم نتعرض لحرية التفكير وحدودها وواقعها وتحدياتها.

لقد اختلف وجهات نظر وتحليلات المفكرين العرب المعاصرين حول مفهوم الحرية الفكرية وأصولها، إلا أنهم يتفقون جميعا في أنها تعاني أزمة وأن تضييق في مجالها داخل المجتمعات العربية. وطيب تيزيني لا يخرج عن وجهة النظر هذه فهو يصف حالها داخل المجتمع العربي المعاصر بالوضع المأساوي، ويظهر ذلك في ما يعانيه الكتاب والمثقفين من ملاحقة واعتقالات وسجن وتهجير، وخير مثال على ذلك قضية المفكر نصر حامد أبو زيد الذي كفر وهجر من بلده.

يرى طيب تيزيني أن واقع الحرية الفكرية في المجتمعات العربية المعاصرة محصور بين حالتين، الأولى أن السلطة السياسية لا تسمح بحرية التفكير للأفراد والمؤسسات إلا إذا كانت تتلاءم أفكارهم وتوجهاتهم مع مخططاتها واستراتيجياتها السياسية والاجتماعية. والثانية أن حرية الفكر غير موجودة ومعممة في شتى المجالات والقطاعات

وإنما مقتصرة على أفراد وشخصيات ومجالات معينة وهذا ما يجعلها تفتقد للاستمرارية والتراكم التاريخي.

إن تحقق وتعميم الحرية الفكرية داخل المجتمعات العربية مازال مطلبا بعيد المنال والتحقق على أرض الواقع، فتحققه يتطلب بذل المزيد من الجهد وذلك بالعمل على ترسيخ مبادئ الحوار والاحترام والتسامح ونبذ العنف والكراهية والحقد بين الأفراد، وأيضا زرع ثقافة التعدد والاختلاف داخل مؤسسات الدولة والمجتمع مما يسمح بتنوع الأفكار وتعدد الآراء والتيارات وبالتالي تعدد الحلول وتنوع النتائج.

إن سقوط ما أطلق عليه طيب تيزيني مصطلح "الدولة الأمنية" في سوريا أو بعبارة أخرى سقوط النظام السياسي (2024) ممثلا في رئيسه بشار الأسد، وتغير الظروف الداخلية والخارجية نتيجة لنجاح الثورة، قد يفتح أفاقا جديدة للمثقف السوري للتعبير عن أفكاره بحرية وممارسة النقد البناء وتفعيل دوره في التغيير الاجتماعي والسياسي. فإذا ما أرد المثقف أن ينفض الغبار عن نفسه، عليه أن يضمن لنفسه هامش معتبر من الحرية والاستقلالية عن السلطة السياسية الجديدة.

المصادر والمراجع:

1. تيزيني، طيب والمرزوقي، أبو يعرب. (2001). آفاق فلسفة عربية معاصرة. ط 1. دمشق، سورية: دار الفكر المعاصر.
2. تيزيني، طيب. (2005). بيان في النهضة والتنوير العربي. ط 1. بيروت، لبنان: دار الفارابي.
3. حبيب، نجمة خليل. (2016). أزمة الحرية الفكرية في المجتمع العربي المعاصر. ديوان العرب. منبر حر للثقافة والفكر والأدب. تم الاسترجاع من الرابط:https://2u.pw/C2QpyYet
4. سعيد، محمد السيد. (2005). المثقفون والتحول الديمقراطي في العالم العربي. موقع مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان. تم الاسترجاع من الرابط: https://2u.pw/CaAkPP92
5. صالح، نبيل علي. (2008). طيب تيزيني من التراث إلى النهضة. ط 1. بيروت، لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي واتجاهاته.
6. صويلح، خليل. (2011). الطيب تيزيني: مثقفون في حضيرة النظام. موقع الأخبار. تم الاسترجاع من الرابط: https://2u.pw/go8Sbsq8
7. الغابري، عبد الباسط. (2021). تيزيني وتحرير الانسان العربي. مركز نقد وتنوير. تم الاسترجاع من الرابط: https://2u.pw/RYRfwLHEq
8. فراس، يحي عبد الجليل. (2009). حرية التعبير عن الرأي كما قررها القرآن الكريم. مجلة الأنبار للعلوم الإسلامية، 01(03)، 192-148.
9. الهلالي، محمد ولزرق، عزيز. (2009). الحرية. ط 1. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.